صناعة النصر

لو تأملنا في حياتنا وواقعنا اليوم بعمق وهدوء لوجدنا أن هناك جوانب عديدة لا تكاد تخلو من السلبية والتسويف وهذه الجوانب لابد من تغييرها سريعاً حتى لا تكبر فتكون أقوى من إرادتنا، فهناك كثير من الأمور لا يمكن أن يُقبل فيها التباطوء بل يصبح التباطوء فيها مجالاً للخطر ويلزم فيها الحزم والبت السريع، فالزمن لا ينتظر من يتخلف عنه بل يمضي في طريقه لا يلوي على شيء ويترك وراءه المتخلفين في عماء الدخان وغبار الزمن، إذاً هناك أمور ومواقف تحتاج إلى بث سريع وإلى حزم قوي قبل أن يسبق السيف العذل، وربما تحتاج إلى تصرف يكون مؤلماً ولكنه لازم وسريع {كُتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم... الآية}.

إنه سؤال يطرح نفسه كل يوم علينا ألا وهو أين نقف في قضية الصراع مع القوي الطاغية؟ هل نستسلم لها ونستكين انسجاماً مع سياسة الأمر الواقع أو كما يصور البعض القضية في نطاق القدر أو مشيئة الله؟ أو يتحرك في اتجاه التضحية والتغيير وبذل الروح؟

إن من يعتقد أن قوة الباطل هي القدر الغالب، وان الظروف فوق طاقته فانه سيتحرك بنفسية المهزوم الذي يرى انه لن يستطيع فعل شي وربما أسلمه ذلك إلى الاستسلام للواقع على انه التصرف الصحيح فيتقوقع على نفسه وينسحب من ساحة المواجهة ليشغل نفسه بقضايا هامشية، وإذا حاولت أن تشحذ همته للتضحية والعمل رد عليك : (كنت إقوى منك عزيمة، وتبين لي بعد سنين من التجارب أن الأمور ليست بهذه البساطة وان محاولتي هذه كانت نوعاً من السذاجة).

لكل داءٍ دواء يُستطبُ به إلا الحماقة أعيت من يداويها

يقول الدكتور محمد أمين المصري : (اليأس القَتَّال والخور المميت والثقة المفقودة كل هذه هي العدو الحقيقي والعقبة الكبرى التي تواجه المسلمين أما العدو الخارجي والصهيونية والصليبية والدعوة الملحدة فكلها أمرها يهون إذا استطعنا أن نغير ما بأنفسنا لنقر فيها معاني الإيمان واليقين والصبر والجلد والثقة والعمل).

يقول الامام النووي اثناء شرحه لحديث ابي هريرة رضي الله عنه (المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف... الحديث)، يقول: (المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الأخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد، وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه، واشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله وارغب في الصلاة والصوم والاذكار وسائر العبادات، وانشط طلباً لها ومحافظة عليها ونحو ذلك. احرص على طاعة الله والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله على ذلك ولا تعجز ولا تكل عن طلب الطاعة ولاعن طلب الإعانة).

فالخطورة كل الخطورة أن يفرض هذا الواقع على الأمة من خلال الضغوط المختلفة والتربية السلبية الارجائية القائمة على اساس اللامبالاة في مواجهة التحديات ليتحول مفهوم الجهاد والتضحية معنى في الفكر والكلمة بدلاً من أن يكون حركة في الواقع، وليكون حفظ النفس من الأخطار في كل تخطيط عملي تغييري.

لقد دفع أصحاب الرسول صلي الله عليه وسلم القدر بالقدر ودفعوا الكفر والفسوق بالجهاد والاستبسال والموت فغيروا وجه الدنيا واطفأوا عبادة الأوثان بالإيمان الصادق، غير أننا نرى في واقعنا المعاصر اقواماً يعرضون عضلاتهم ويتشدقون بالتضحية والتجرد حتى إذا وقفوا أمام الأمر الواقع انهزموا من مسئولياتهم وبدأوا في اختلاق الأعذار والحجج، وطلبوا التأجيل وليست القضية قضية وقت وأجل بل هي في الحقيقة خوف وفقدان الثقة في نصر الله، كما قال تعالى: {ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم واقيموا الصلاة وآتو الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقي ولاتظلمون فتيلا... الآية}.

لابد أن ندرك اليوم مع كثرة التجارب المريرة والمآسي الدامية أن المعركة الحقيقية تبدأ في أنفسنا فإذا انتصرنا هناك هيأ الله لنا برحمته أسباب النصر فنحن مدعوون للخروج من ذواتنا وحظوظ أنفسنا وتنقية سرائرنا قبل الظواهر، فنفوسنا هي موطن التفاعل وهي الإناء

الذي يتسع لكل شيئ يتسع للهدى كما يتسع للضلال، ويتسع للخوف كما يتسع للإقدام.

فهؤلاء سحرة فرعون كانوا عبيداً خاضعين لفرعون قد سلخت منهم إنسانيتهم وعزتهم يتحركون بقوته ويغلبون بعزته {فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون}، ولما جاءهم نبي الله موسى بالحق الذي يؤمن به الحس ويصدقه العقل دخل الإيمان في أعماقهم فأبصروا فرعون على حقيقته بشراً من الناس، ونظروا إلى أنفسهم فأبصروا مالها من كرامة وعزة، فأعلنوا أمام فرعون وملائه عن إيمانهم بالحق الذي أمن به نبي الله موسى وانخلاعهم عن التبعية له وخروجهم من العبودية الزائفة لسلطانه، ولما توعدهم بالتعذيب والصلب على جذوع النخل أجاب السحرة من مكان متسام رفيع {لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقي... الآية}.

وعندما تتأمل في شخصية الصحابي قبل اتصالها بالنبي صلى الله عليه وسلم وبعد اتصالها به والإيمان برسالة الإسلام تجد كل شئ في هذه الشخصية قد تغير وتجد كل طاقاتها قد انطلقت في الإتجاه الصحيح فأصبحت ترى العجب العجاب من تكامل شخصية الصحابي عبادة وزهداً وشجاعة وأخلاقاً.. وقائداً سياسياً مربياً ومحارباً لاتأخذه في الله لومة لائم، وإن أحدهم ليتلقى الرمح بصدره ويقول: (فزت ورب الكعبة) ويستطيل الآخر حياته حتى يلقي قوته من يده ويقول (إنها لحياة طويلة إن صبرت حتي أكلها) ثم يتقدم إلى الموت فرحاً مسروراً به.

لقد حدد لهم الرسول عليه الصلاة والسلام المهمة الكبري وقادهم في الطريق وتركهم علي المحجة البيضاء ليلها كنهارها ثم مضى إلى ربه فانطلقوا من بعده لم يغيروا ولم يبدلوا وصدق فيهم قول الحق سبحانه وتعالى: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضي نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا... الآية}.

إن التربية الربانية وحب الشهادة في سبيل الله من الاساسيات التي تكسب الامة عزة وشموخاً وتربي الافراد على الإباء وعلو الهمة وجسارة القلب وسمو النفس وشفافية الروح والثقة في نصر الله، وما موقف الامام

أحمد رحمه الله من فتنة خلق القران الـتي امتحـن بسـببها إلا جرأة في الحق وثبات على العقيـدة الصـحيحة وتضـحية في سبيلها، وهـو نفسـه موقـف شـبابنا المسـلم فـي ليبيـا وخارجها موقفا صلباً قوياً مستنداً الى الايمان الـذي يتزايـد وينمـو أمـام واقـع التحـدي والمواجهـة لتعـاظم الشـعور بالمسؤلية ازاء الكثرة الضالة المخدوعة فقوة الايمان تنقـذ الانسان المؤمن من الشـعور الـداخلي بالضـعف والاحبـاط أمام قوة الباطل والطغيان التي تحاول تدميره نفسـياً مـن خلال ما تحشده من قوة ليحلق في سـماء الايمـان ويشـعر بالطمانينة وأن الله لن يتخلي عنه بل يعطيه القوة والنصـر ذلـك هـو المنطـق الصـحيح الحـي المتحـرك عنـدما تقـدم التضحية كإحدى القيم الفاعلة في صناعة النصر.

فالاسباب الحقيقية لكل هزيمة هي داخلية لا خارجيـة يقولون: ليس علينا أن نلوم العواصف حين تحطم الشجرة النخرة في اصولها، إنما اللوم على الشجرة النخرة نفسها.

فالفئة التي تقاتل من أجل عقيدة تبقى عناصرها فـي الميدان حتى آخر رجل أما الذين يدخلون المعركـة وعليهـم ستار الياس فانهم يبقون فـي الميـدان بقـدر مالـديهم مـن أمل في النصر، فان وصل الياس أقصى حدوده توقفوا عن القتـال وانهزمـوا، لـذلك لـم يـدع الرسـول عليـه الصـلاة والسلام المسـلمين بعـد معركـة أحـد يستسـلمون لمـرارة الهزيمة ويغرقون في بحر التلاوم والنـدم وإنمـا انـدفع بهـم إلى ساحة جديدة بأمره لهم بالتوجه إلى حمراء الاسد حيث أنقلبت مشـاعر الهزيمـة والانكسـار إلـى مشـاعر مندفعـة للمبـادأة بالقتـال والمطـاردة لمشـركي قريـش، ولـم يكـد يسـمع مشـركو قريـش هـذا الخـبر حـتى دب الـذعر فـي نفوسهم وأعلنو الرحيل الذي هو في حقيقته هروب وخوف من المسلمين مع أنهم كانوا يريدون الهجوم علـى المدينـة لاستئصال شأفة المسلمين. وقد قال تعالى مخبراً عن هذا الموقف {الذين أستجابوا لله والرسول من بعد ما أصـابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقو اجـر عظيـم * الـذين قـال لهم الناس ان النـاس قـد جمعـوا لكـم فاخشـوهم فزادهـم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعـم الوكيـل فـانقلبوا بنعمـة مـن الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله واللـه ذو فضـل عظيـم * إنمـا ذلكـم الشـيطان يخـوف أوليـاءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين... الآية}.

يقـول أحـد الكتـاب: (ان الحسـرة والتـألم وتصـعيد الزفرات ليست سوى وسيلة سلبية لا تجـرح قـوى الباطـل

بل لاتخدشها وهي لابأس بها لكنها تنقلب إلى أمر بالغ الخطورة إذا لم يعقبها عمل ايجابي مثمر، إذ تكون وسيلة لامتصاص النقمة على الأوضاع الفاسدة ومن ثَمَّ الركون إليها، وعلى أحسن الفروض استمرار هذه النقمة ولكن بشكل جامد لاحياة فيه يؤدي الى شلل الحركة وليس أفضل لقوى الباطل من هذا الوضع) اهـ.

إن الامة اليوم تريد من يأخذ بزمامها في وقت الشدة وزمن الغربة ويمضي بها نحو الغايات العظام.. إنها تريد رجالاً يحتملون الصعاب ويتأسون بخطا نبينا محمد عليه الصلاة والسلام واصحابه شبراً بشبر وذراعاً بذراع.. إنها لن ترضي منهم جفلة الضبي وهم يخطون في طريق ذات اشواك ورصاص ودماء فالنصر لايأتي إلابدعوة تؤسس ابتداء على بذل، فمن شروط انتشارً الدعوة أن تفقد بين الحين والاخر بعضاً من عناصرها وإلاَّ ما سرت في المجتمع وغيرت تياره، فدعوة التوحيد حين تلتحم بالجماهير سوف تمده دوماً بدماء جديدة، فالشهداء هم الذين يحركون ضمير الامة لتمدهم بطلائعها الخاصة، والقراءة الجادة لحركة التاريخ تؤكد أن انتصار الاسلام حتمية إلهية وأن هذه الحتمية ستجرف أمامها كل ما يمكرون.

فمازال هناك في ليبيا وخارجها شباب يحملون في اعماقهم ايماناً راسخاً بهذ الدين، يفلون به حديد الكفر ويحملون في صدورهم نوراً يجدد للامة حياتها ومكانتها ويغرسون في الوطن شجرة الايمان. قدموا الشهيد تلو الشهيد وعلقوا على المشانق وتحمَّلوا مشقات الجهاد وصبروا على آلام السجون ومرارتها وكانوا إزاء كل ذلك محتسبين عند الله ورغم تهويل الباطل وتجمعه فإن قافلتهم تمضي لاتتوقف،راجين أن يكونوا من تلك الطائفة التي أخبر عنها الضحوك القتال صلىالله عليه وسلم حين قال : (لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة... الحديث).

أرأيت لو اختفت الشمس والقمر ماذا يحدث للكون من اضطراب؟ فكذلك وجود هذه الطائفة المنصورة فإنها والشمس والقمرَوالنجوم والماء والهواء سنن الكون التي يتحتم وجودها وإلاَّ فستقوم الساعة.

إنها مسيرة الحق المنتصر دائماً بالرغم من تهويل الباطل وتجمعه ولكنه ركام زائل لايقوى على الوقوف أمام الحق المتدفق زحفاً نحو معاقله يدكه دكاً.

إن كلمة الصحابي الجليل أنس بن النضر هي الجواب على تساؤلنا، والحق الذي يجب أن يملأ قلوبنا حين قيل لـه إن محمداً قد مات فقال: (لئن مات محمد فـإن ربَّ محمـد حيٌ لايموت، قوموا فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليـه)، وقاتـل حـتى استشـهد وعلـى جثتـه وجثـث أصحابه بني صرح الإسلام وصنع النصر.

فقلبك من ذكرهم خافقُ المنضج من الشوق و الحزن

وقتلاهُم في جنان النعيم المداخل والمخرج كرام

بما صبروا تحت ظل اللواء الأضوج لواء الرسول بذي

وكلهمُ مات حر البلاء يخرج على ملة الله لم

أخوكم ؛ سعد أوجله
عن مجلة الفجر

منبر التوحيد والجهاد
* * *
sw.dehwat.www//:ptth
sw.esedqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth

موقعنا على الشبكة
sw.dehwat.www//:ptth
moc.esedqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth

منبر التوحيد والجهاد
sw.dehwat.www
moc.esedqamla.www
ofni.hannusla.www
moc.adataq-uba.www